بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 30 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:04\01\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

ما زال كلامه في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ في عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصير﴾ عمدة البحث في هذه الآية تقدم سابقاً، بقي لدينا قوله: ﴿أَنِ اشْكُرْ لي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصير﴾

في البداية نركز على البحث المجهري[1] في هذه الآية، في كلمة ﴿أَنِ اشْكُرْ﴾ وقع الخلاف بين المفسرين، أن ﴿أن﴾ هذه، هل هي مصدرية لكي يكون المصدر المؤول في محل نصب مفعول به لقوله: ﴿وَصَّيْنَا﴾؟ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ﴾ ﴿أَنِ اشْكُرْ﴾ أي: وصيناه شكران والديه، فيكون مصدر مؤول في محل نصب مفعول به، أم أن كلمة ﴿أن﴾ تفسيرية، بمعنى أي، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ﴾ بأن قلنا له اشكر لي ولوالديك، فـ﴿أن﴾ تكون بمثابة التفسير لهذه الوصية. وأن في اللغة العربية من جملة معانيها أن تكون تفسيرية.

ولعل هذا هو الأقرب بعد تلك الجملة التفصيلية التي جاءت كدليل على هذه الوصية، وهي قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ في عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصير﴾ فكأنه قال: أنه عهدنا إلى الإنسان، كل إنسان، ووصيناه بوالديه، فإن للوالدين حقاً على الإنسان، كيف وهما أصل وجوده، وأمه حملته وهناً على وهن، ففي حمله أعطت من جسدها وروحها، ولم تكتف بحمله، بل أرضعته إلى عامين، فهذه الحالة تستلزم أن يكون الإنسان شاكراً لربه تبارك وتعالى؛ لأنه وراء وجود كل وجود، وأن يكون شاكراً لوالديه لكونهما وراء وجوده ولو بالواسطة، فعليه أن يكون شاكراً لخالقه لفضله عليه، وشاكراً لوالديه أيضاً لفضله عليه.

---

[1] يعني على كلمة كلمة.

قوله بعد ذلك: ﴿إِلَيَّ الْمَصير﴾ يحتمل فيه احتمالان:

الاحتمال الأول: أن يكون المقصود من ذلك تذكير الإنسان بعنصر الرقابة، أوصيت إليكم بهذه الوصية وأنا المراقب، وبالأخير ﴿إِلَيَّ الْمَصير﴾ سأجازي من كان شاكراً بالخير، وأعاقب من كان منكراً وكافراً بالشر.

الاحتمال الثاني: أن يكون هذا التذليل بقوله: ﴿إِلَيَّ الْمَصير﴾ لكونه بعد أن ساوى بين الخالق تبارك وتعالى وبين الوالدين بالشكر ﴿أَنِ اشْكُرْ لي وَلِوالِدَيْكَ﴾ أراد أن يبين الفرق، أن خالق تبارك وتعالى منعم عليك في الدنيا وفي العاقبة؛ لأن إليه المصير. أما الأبوان فهما منعمان عليك في الدنيا، ولا نعمة لهما عليك في الآخرة.

لكن حتى هذا المعنى الثاني على تقدير أنه هو المراد أيضاً فيه إشعار بالرقابة، وعادة العهد والكتابة والوصية بحاجة إلى ضامن لإجرائها، وضمان إجراء مثل الأمور الأخلاقية هو الوازع الذاتي عند الإنسان، وهذا الوازع الذاتي يلتفت إليه الإنسان عندما يشعر بالرقابة، فلذا قال: ﴿إِلَيَّ الْمَصير﴾ سواء أخذنا بالتفسير الأول أم بالتفسير الثاني، على كل تقدير هذا التذييل يعطينا نحن الذين وقعنا متعلقاً للوصية، يعطينا الشعور بالرقابة، فيتحرك الوازع الذاتي عندنا لتنفيذ هذه الوصية الإلهية.

الآية الخامسة عشر: ﴿وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿وَإِنْ جاهَداكَ﴾ أي: ألحا في الطلب، واستعانا بجهدهما في إغرائك بأن تشرك بالله، هذه الآية الثانية كما نلاحظ ليست منفصلة عن الآية السابقة، بل هي مرتبطة بهذه الوصية الإلهية، بعد أن أوصى الله تبارك وتعالى بالوالدين من جهة، وقرن شكرهما بشكره من جهة أخرى، وكل من الوصية والشكر يقتضيان الطاعة، فقد يتوهم متوهم أن إطاعة الوالدين كإطاعة الله تبارك وتعالى، إطاعة مطلقة، تسليم مطلق، مهما كان الطلب.

ومجموع الآيتين يدلان على وجود وشيجتين في هذه الوصية: إحداهما ترتبط بالعقيدة، والأخرى ترتبط بالعاطفة، فيقول: بأن وشيجة الاعتقاد هي أعلى مرتبة من كل وشيجة، ومن كل وصلة، وصلة العقيدة أهم من وصلة النسب، فإذا وصل الأمر إلى العقيدة فلا تطعهما.

ولكن لا ينبغي مع ذلك أن تترك الإحسان إليهما، قمة الموازنة، أن علقة النسب لا ترتفع فوق علقة الدين، فابقى على عقيدة التوحيد ولا تطعهما في محاولتهما لميلك عن عقيدة التوحيد، ولكن في الوقت نفسه لا بد أن لا يكون الإنسان المؤمن المتلبس بعقيد التوحيد خالياً عن العاطفة، والعاطفة تقتضي بعدما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ﴾ وبعد ما جاهد والده في تربيته وكسبه سهر عليه، أن نأتي ونقول: هؤلاء لكونهما من أهل الشرك فابتعد عنهما، عنصر العاطفة في الدين الذي ينشأ من هذه التربية، ومن هذه القيمة الناشئة من الجهد الذي بذله الأبوان، الباري سبحانه وتعالى لا يسقطه، فإذن تبقى تعاملهما بمعروف وبإحسان. ولأجل ذلك نلاحظ في بعض الروايات وفي بعض المعارك التي خاضها النبي صلى الله عليه وآله وكان الابن في معسكر الإيمان وكان الأب في معسكر الشرك، منع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أن يقتل الابن أباه، وقال: اتركه لغيرك.

فإذن الإسلام والدين لا يضيع هذا الجهد المبذول، لكنه لا يرقى بحيث يتفوق على وشيجة ووصلة العقيدة والدين. فإذن هذا معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ جاهَداكَ [أي: ألحا وبذلا جهدهما] عَلى أَنْ تُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾

انظروا إلى هذا التعبير: ﴿ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ هذا التعبير شائع في القرآن الكريم، في مثل هذا المورد ما لا علم به يساوي العدم، في موارد أخرى أنا لا أعلم بالشيء لا يساوي عدم وجود الشيء، عدم العلم بالشيء لا يساوي عدم وجود الشيء، لكن في مثل موارد الشرك، عدم العلم ناشئ عن عدم الوجود، نظير قوله تبارك وتعالى: ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2] الله لا يعلم بعدم وجود الشريك، وبما أن المتكلم في هذه الآية، وهو صاحب الوصية، وهو الله تبارك وتعالى، فيساوق عدم العلم بالشريك عدم وجود الشريك.

[2] يونس 18